المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها بمكة المكرمة ـ فندق هيلتون مكة للمؤتمرات
خلال الفترة ١٣ـ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

الترجمة في خدمة اللغة العربية بين التعريب و التغريب

جوزي بلقاسم لرجان
مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، منظمة التعاون الإسلامي

jawzi.lardjane@gmail.com

ملخص الدراسة :

من مقاصد الترجمة النهوض باللغة و إحيائها، و من ذلك تعتبر الترجمة وسيلة من وسائل خدمة اللغة العربية و ثقافتها، و قد تقوم الترجمة بدور سيء اذا لم يعرف المترجم مقاصدها و أسرارها، لا سيما في هذا العصر الذي سادت فيه موجة التغريب التي تسعى إلى تهميش و تشويه اللغة العربية.

تسعى هذه الدراسة إلى تحري أهم إشكالات الترجمة التي تعني اللغة العربية من المنظور اللغوي و الثقافي و كيف يمكن للترجمة أن تصبح سببا من أسباب النهوض باللغة العربية من خلال التعريب الهادف و الأصيل، و تناولت هذه الدراسة الأسباب وراء أهم إشكالات الترجمة و تأثيرها على الواقع الثقافي للغة العربية بحيث أن الترجمة ظاهرة ذي الحدين.

وتختم الدراسة بتوصيات و مقترحات في مجال الترجمة من شأنها ان تخدم اللغة العربية و آدابها على المستوى الفردي و المؤسساتي و أن ترجعها إلى مكانتها العلمية و العالمية و بالله التوفيق.

مقدمة الدراسة :

بسم الله و الحمد لله و الصلاة و السلام على اشرف الأنبياء و المرسلين سيدنا و نبينا محمد و على آله و صحبه و بعد،

الحمد لله الذي خلق الإنسان و علمه البيان و قال في محكم التنزيل : وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾

رغم التراجع الحضاري للشعوب العربية والإسلامية إلا أن اللغة العربية بقيت راسخة لم تتنازل عن عرشها و مكانتها العلمية و لاتزال اللغة الثقافية للشعوب المسلمة وتشهد بذلك أشهر مستعربة ألمانية على قيد الحياة الدكتورة بياتغيس قروندلر (١٩٦٤-) التي قالت في عام ٢٠١٧ إثر فوزها بجائزة لابتنيس و هي أرفع جائزة علمية في ألمانيا أنه "منذ العصور ما قبل الحداثة، أي من القرن السابع الميلادي إلى القرن التاسع عشر، كانت اللغة العربية لغة معرفة، وكانت وسيطا لكثير من المؤلفين من ذوي لغاتٍ أم أخرى، مثل الإيرانيين واليهود والبيزنطيين والقوط الغربيين وغيرهم. جمعت اللغة العربية أصوات أناس من أصول عرقية ودينية مختلفة، كل هذا شكل جزءا من الكومنولث العربي الإسلامي."[١] و قد وصف المترجم الشهير عبد الودود دنيس جونسون ديفز، الملقب برائد الترجمة العربية-الإنجليزية، تأثير الأدب والشعر العربيين في الأدب الغربي بالبستان السري الذي كان يلتجأ إليه المثقفون الغربيون.[٢]

اللسانيات أو علم اللغة علم قائم بذاته و لكن الترجمة مزيج بين العلم و الملكة الفكرية لذلك قد تختلف ترجمة الكلمة او النص من مترجم لآخر. إن مهمة المترجم الرئيسة هي نقل الأفكار والقيم و المعارف من لغة إلى أخرى، وقد نتج عن عدم فقه أحكام الترجمة وأخلاقياتها إشكالات كثيرة و مفاهيم خاطئة تستخدم كثيرا دون معرفة أصلها و طريقة نشأتها.

إن حالة الترجمة اليوم تعكس الواقع العلمي و الفكري للأمة العربية و الإسلامسة، و من ثم يجب تأصيل دور فعال و مفيد للترجمة، و هذه الورقة محاولة لسرد أهم المشاكل التي ابتليت بها اللغة العربية بسبب الصراع بين التعريب و التغريب في استحواذ عملية الترجمة.

المبحث الأول : أهمية الترجمة في خدمة اللغة العربية

تقوم الحضارات على عدة شروط من أهمها الترجمة فهي وسيلة لإثبات الهوية و لكسب هيبة الأمم و الجسر القوي الذي تنتقل عبره معارف و خبرات الشعوب و تبعث أمم أخرى من جديد و هي الوسيلة التي تقوم بتصفية تراث الآخر و تقديمه لأجيال الحاضر و المستقبل على مقاييس و قيم الثقافة و اللغة الأم و قد تسمى هذه العملية

[١] منقول من الألمانية، مجلة جامعة برلين الحرة ٠٨-١٢-٢٠١٦.
https://www.fu-berlin.de/campusleben/forschen/2016/161208-beatrice-gruendler-leibniz-preis/index.html

[٢] تأثير الأدب العربي على الغرب، عبد الودود دنيس جونسون ديفز، صحيفة البيان الإماراتية ١٠ إبريل ٢٠١٦.

عملية توطين و تكييف و تعريب و أسلمة و كلها في الحقيقة معاني لمفهوم اذا عملنا بقاعدة لا مشاحة في الاصطلاح.

من ثمار الترجمة الحكيمة و المسئولة خدمة اللغة العربية بإحياء الوعي الثقافي و الهوية العربية الإسلامية عكس الترجمة غير الواعية التي تسعى الى تغريب التعريب و تصبح أداة تأثير سلبية على اللغة العربية إذ أن التعريب قد يكون وسيلة قاتلة و قد يكون وسيلة إحيائية إن حسن استعماله و هو في نوعين: تعريب للتغريب و تغريب للتعريب أو بمفهوم آخر تعريب عارب و تعريب المستعرب، على سبيل المثال : كلمة كمبيوتر تعتبر تغريبً للغة العربية اما كلمة حاسوب تعتبر تعريبا لغريب على اللغة العربية، و قد يقع وصف التعريب المستعرب على كلمة كمبيوتر، و وصف تعريب عارب على كلمة حاسوب. بهذا النحو يحدث تشويه اللغة العربية من قبل أناس لا علاقة لهم بالترجمة او اللغة العربية بل أحيانا يكونون من أهل اللغة و لكن من شدة تأثرهم بثقافة الغير او لعقدة إنهزامية تجعلهم يفشلون في تعريب الدخيل تعريبا عاربا و ليس مستعربا.

إن الترجمة التي تهدف إلى خدمة اللغة العربية جزء من عملية التعريب و ليس بالعكس، و اذا كانت ترجمة عامة تهدف لفائدة دنيوية فإن التعريب جزء منها لا غنى عنه، فكل ترجمة تعريب و ليس كل تعريب ترجمة، و يجب ان تكون الترجمة في خدمة التعريب لأن المقصد الأعلى للترجمة في كل ثقافة هو الإعتزاز باللغة الأم و نشر ثقافتها، و جعل اللغة العربية لغة علم و حضارة. العديد من المفاهيم و المواضيع أسالت حبرا كثيرا عند أهل الفكر و البحث و لو تمت ترجمة مفاهيمها بالطريقة الصحيحة لأنشأت الوعي الصحيح و لتجنبت إهدار الوقت و الطاقات في جدالات فكرية عقيمة.

يمكن القول أيضا بوجود تعريب سالب و تعريب موجب وهذا هو المقصود من تعريب التغريب و تغريب التعريب، فإن تعريب التغريب هوأن تقوم عملية الترجمة بغربلة المفاهيم و المصطلحات لان المترجمين جنود خفاء في البناء الحضاري، لكن و للأسف الشديد من الأسباب الرئيسة للغزو الثقافي هي الترجمة، و هنا يصبح التعريب تغريبا أي أنه يغرب التعريب و ينقل لنا أفكار و قيم أجنبية من خلال بني جلدتنا و يتحدثون ألسنتنا يقومون بإخراج مفاهيم كثيرة من سياقها و معناها الأصلي، على سبيل المثال لا الحصر، كثير من المفاهيم أخرجت من مضمونها التاريخي و العلمي ككلمة فن من علم صارت تعني شيء آخر، كما تم بالمقابل إدخال ألفاظ دخيلة تحمل معاني جديدة على سبيل المثال : علمانية أي اللادينية و نحن لسنا على صدد الجدال اذا كان جورجي زيدان قام باشتقاقها من كلمة علم او عالم فكليهما مشحونة بمعنى انهزامي في ذهن القارئ العربي.

المبحث الثاني : مفهوم الترجمة و التعريب و التغريب

قبل الشروع في عرض الورقة، لا بد من تعريف المفاهيم الأساسية التي يتخللها عنوان البحث و العلاقات التي تربط بينهم.

أولاً : مفهوم الترجمة

المعنى اللغوي :البَيانُ والتَّفْسِيرُ، يُقالُ: تَرْجَمَ كَلامَهُ: إذا بَيَّنَهُ وفَسَّرَهُ، وتأْتي بِمعنى النَّقْلِ مِنْ لُغَةٍ إلى أُخْرَى، يُقالُ: تَرْجَمَ كَلامَ غَيْرِهِ، أيْ: نَقَلَهُ مِنْ لُغَةٍ إلى أُخْرَى، وعَبَّرَ عَنْهُ بِلِسانٍ آخَرَ، والتَّرْجُمانُ: هو المُفَسِّرُ، ومِنْ مِعانِي التَّرْجَمَةِ: التَّحْوِيلُ.[٣]

المعنى الشرعي :

يَرِد مُصْطلَح (تَرْجَمَة) في عِدَّةِ أَبْوابٍ، مِنْها: كِتاب الطَّهارَةِ عند الكَلامِ عن حُكْمِ مَسِّ الـمُحْدِثِ القُرْآنَ وتَفْسِيرَهُ، وفي كِتابِ الصَّلاة، باب: أَلْفاظ الأذانِ، وباب: صَلاة الجُمُعَةِ، وفي كِتاب النِّكاحِ، باب: عَقْد النِّكاحِ، وفي باب: أَلْفاظ الطَّلاقِ، وفي كِتابِ القَضاءِ، باب: أَدَب القاضِي. ويُطْلَقُ في عِلْمِ التّارِيخِ، ومعناه: التَّعْرِيفُ بِالشَّخْصِ وحَياتِهِ.[٤]

المعنى الاصطلاحي : هو نفس ما جاء في المعنى اللغوي، النَّقْلِ و التحويل مِنْ لُغَةٍ إلى أُخْرَى.

ثانيا : مفهوم التعريب

المعنى اللغوي : هو كما يعرّفه ابن منظور في "لسان العرب" ، مصدر الفعل عَرَّبَ، وعَرَّبَ منطقَه: هذَّبهُ من اللحن.[٥]

المعنى الاصطلاحي: هو مفهوم لَهُ معانٍ عدّة متداخلة و متكاملة و بعضها قد يوافق معنى التغريب في بعض أبوابه ،و يُقصد من التعريب على وجه الإجمال ثلاثة معاني :

١) النقلُ إلى اللغة العربية من لغةٍ أخرى و هي تعريب للاسمِ الأعجمي و هو أن تتفوّهَ به العربُ على منهاجها. مثلا: غرناطة بدلا من غرانادا و هرقل بدلاً من إيريكليوس والتلفاز و مهندس بدلا من مهندز و التلفاز بدلا من التلفزيون، و التعريب في هذا المعنى يقع بثلاثة طرق منها ما يوافق معنى التغريب.

أ- تعريب اللفظ أو تغيير اللفظة الأعجمية بإبدال حرف عربي مكان حرف عربي آخر، وإلحاقه بالأوزان العربية والمنهاج العربي ، و إشتهر بهذا المذهب في التعريب أبي العباس الجوهري. مثال : مهندس من مهندز و خندق من كندك.

ب- إدخال اللفظة الأعجمية في العربية و إبقائها على حالها دون تغيير، ونقلها بلا مراعاة للوزن العربي ولا اشتراط التعديل، و إشتهر به سيبويه. مثال عصري : الفاكس و الانترنت و التلقرام.

ج- إدخال المعنى في العربية أو التعريب بالمعنى: وترجمته، وتوليد مكافئ له في اللغة العربية، وهو شائع عند أكثر العلماء. مثال : كلمة سندويش تحولت إلى شطيرة أو فطيرة.

---

[٣] موسوعة المصطلحات الإسلامية المترجمة.https://terminologyenc.com/ar/browse/term/649

[٤] المرجع نفسه.

[٥] لسان العرب لابن منظور الإفريقي ص.٥٩٠.

المعنى الثاني: يقصد به ترجمة النصوص من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وإنّما يكون التركيز هنا على ترجمة المعاني بما يكفل أن يحافظ النص الأصلي علَى خصائِصه قدر الإمكان.

المعنى الثالث : مشروع سياسي او اجتماعي يسعى أن تكون اللغة العربية لغة العلم والعمل والفكر والإدارة، و قد يختلف نوع هذا المشروع حسب الزمان و المكان فمشروع التعريب الذي في دول الخليج يختلف عن مشروع التعريب الذي هو في المغرب العربي أو الذي في بعض الدول غير العربية التي تسعى إلى تعريب او إلى الحفاظ على الحروف و الألفاظ العربية في لغتها كالأردية و الفارسية.

يرى الدكتور صفاء خلوصي أن التعريب غير الترجمة، فالترجمةُ كما يقولُ هي نقلُ معنى وأسلوب من لغةٍ إلى أخرى، بينما التعريبُ هوَ رسمُ لفظةٍ أجنبيةٍ بحروفٍ عربيةٍ، بينما يرى الباحث المهدي البوعبدلي أن التعريب يعني عملية نقل المعاني من لغات غير عربية الى اللغة العربية فتصاغ من ألفاظ متناسبة و متناسقة في صياغة فنية تعطي للمعاني المنقولة شكلا معوضا أصالةً عن الشكل السابق، و قد يعيطنا الشكل الجديد المعرب قوة، و قد يكتسبها جدة، فتصبح منقولة و كأنها لم تنقل، و هذا هو المعنى الثقافي للتعريب، إنه المنهاج الذي إتبعه العرب الأوائل في تعريب العلوم و الفنون".[٧]

ثالثا : مفهوم التغريب

المعنى اللغوي: النَّفْيُ والإبْعادُ، يُقال: أَغْرَبْتُهُ، وغَرَّبْتُهُ تَغْرِيباً، فتَغَرَّبَ، أيْ: نَفَيْتُهُ وأَبْعَدْتُّهُ، وغَرَّبَ الأَمِيرُ فُلاناً، أيْ: نَفاهُ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ. وأَصْلُه مِنْ غَرَبَ، أي: بَعُدَ، والغُرْبَةُ: البُعْدُ عَن الوَطَنِ. والغَرْبُ: الذَّهابُ والتَّنَحِّي عَنِ النّاسِ. ومِنْ مَعانِي التَّغرِيبِ أيضاً: التَّنْحِيَةُ والعَزْلُ والطَّرْدُ والتَّرْحِيل و يستعمل علماء اللغة «الإغْراب» و«التغريب» بمعنىً واحدٍ، وهو التنْحية والإقصاء من الوطن.[٨]

المعنى الشرعي: يَرِد مُصْطلَح (تَغْرِيب) في الفقه في كتاب الـحُدودِ، باب: حَدّ الـحِرابَةِ، وفي باب: التَّعْزِير. [٩]

المعنى الاصطلاحي : يُطْلَقُ إطْلاقاً مُعاصِراً في عِلمِ العَقِيدَةِ، باب: الأدْيان والفِرَق، ويُراد به: فِكْرٌ خاصٌّ ذُو أَبْعادٍ سِياسِيَّةٍ واجْتِماعِيَّةٍ يَهْدِفُ إلى صِبْغِ حَياةِ جَميعَ الأُمَمِ - خاصَّةً الـمُسْلِمينَ - بِالأُسْلوبِ الغَرْبِي؛ لإزالَةِ شَخْصِيَتِهِم وجَعْلِهِم أَتْباعاً لِلْحَضارَةِ الغَرْبِيَّةِ .[١٠]

و من أجمل ما يستشهد به في هذا الباب هو بيان الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله لمخاطر التغريب في رسالته "تغريب الألقاب العلمية"حيث يقول: إن في نصب شعار التغريب للألقاب العلمية على المتعلمين من مواليد أهل الإسلام نافقاء لشحن فؤاد الناشئ بأنه وليد حركة تعليمية غربية، فلها من المردودات المضادة ما الله به عليم : من

[٦] المصطلح و المفهوم و المعجم المختص، محمد خطابي،كنوز المعرفة، ص.١٥٧.

[٧] أهمية الترجمة و شروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر العاصمة، ٢٠٠٤، ص.٣٩٥.

[٨] موسوعة المصطلحات الإسلامية المترجمة https://terminologyenc.com/ar/browse/term/6573

[٩] المرجع نفسه.

[١٠] المرجع نفسه.

هبوط في مستوى الاستقلال و الذاتية ، و تشكيك في القدرة على الإبداع و الابتكار ، و دبيبٌ للتغريب بفاعلية إلى جوهره و موضوعيته. فما يلبث ذلك الوليد إلا و قد وقع أسيرا في فتنة التغريب ، ينثر صداها الناقع في جسم أمته و قبيلته"[١١]

و يضيف قائلا : " أرجو من الله المنان سبحانه وحده أن يحقق التعريب أمام التغريب، فإنه بتحقيقه مع التزام وسائل الإعلام و الدعاية به يقضي على هذه المشكلة و ينفيها عن أرضنا، و يصيبها بتعثر حتى تمشي على استحياء و تتسلل لواذا من بيننا" [١٢]

إن طرق و مناهج التعريب متعددة و ليست موضوع هذه المداخلة و إتباعا لقاعدة لا مشاحاة في الإصطلاح، أكثر الأمثلة التي سأشير إليها في هذا البحث لبيان الآثار السلبية و الإيجابية للترجمة على اللغة العربية هي من الترجمة الإسلامية بحكم التخصص الذي اعمل فيه و بحكم العلاقة التي تربط بين اللغة العربية و الإسلام و التي هي بمثابة الجسد و الروح.

المبحث الثالث : دور الترجمة في التراث العربي

إن الترجمة تشجع الآخرين على تعلم اللغة العربية والانفتاح على الثقافة الإسلامية؛ لأن تعدد الألسنة سنة كونية لاغنى عنها، إن الواجب حسن استغلال الفرص والوسائل المتاحة لإحياء اللغة العربية ، يشهد التاريخ أنه عندما تراجع العرب جاء أقوام آخرون برفع شعلة الإسلام وجعلوا اللغة العربية لغة أولى أو ثانية واستعملت الأحرف العربية للغتهم ولم يؤثر ذلك سلبا على اللغة العربية بل إن أكثر اللغويين كسيبويه وغيره كانوا من العجم، ويرجع ذلك أساسا إلى اعتنائهم بلغة القرآن الكريم و مقاصد اللغة العربية من خلال الوحي.

يرى المؤرخون أن الترجمة بمفهومها العصري ظهرت خلال حركة الترجمة في العصر العباسي، التي ساهمت إيجاباً في إلهام ما يسمى بالنهضة العلمية، ولكنها أيضا ساهمت سلبًا في تسرب البدع والعقائد المخالفة للإسلام وظهور الصراعات الطائفية والفكرية عبر العصور المتتالية، وفي نفس الوقت عرف ذلك العصر بعصر التدوين الذي دونت فيه العلوم الإسلامية بما في ذلك علوم الآلة وعلوم الغاية .وتعد تلك الفترة التاريخية بداية للعولمة، حيث قام المسلمون بتدشين حضارة عالمية لا تفرقها الحدود الجغرافية والثقافية، وبذلك كان للترجمة أثر إيجابيا في الدعوة إلى الإسلام، وقد دعت الضرورة أيضا إلى ترجمة بعض معاني القرآن الكريم، نُقل إن أول من ترجم معانيه هم الصحابة رضي الله عنهم خلال الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة .ونقل كذلك أول ترجمة كانت من الصحابي الجليل سلمان الفارسي، رضي الله عنه، عندما كان يدعو قومه إلى الإسلام ,وقد روي أن اول ترجمة رسمية لمعاني القرآن الكريم كانت في القرن الثالث للهجرة بأمر من حاكم ولاية المنصورة في بلاد السند عبدالله

[١] المجموعة العلمية للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله، دار العاصمة للنشر و التوزيع، ١٤١٦، ص. ٣٢٨.

[١] المرجع نفسه، ص.٣٣١.

بن عمر بن عبدالعزيز الهباري، رحمه الله، و بطلب من أحد ملوك الهند الهندوس الذي أبدى اهتماماً بالإسلام.[١٣] عرف التاريخ أنه في عهد بعض الخلفاء العباسيين، كانت المكافأة على كل كتاب مترجم؛ ما يعادل وزنه ذهباً، و لو ترجمت معاني القرآن الكريم وكتب الإسلام إلى اللغات الأخرى كاللاتينية، لكان لذلك أثر عميق في تغيير مجرى التاريخ، وفي العلاقة بين الشرق والغرب؛ لأن أولى الترجمات اللاتينية المشوهة ظهرت في أوروبا بعد عدة قرون .وتعلم اللغات من أجل الدعوة واجب، كما قال بذلك بعض العلماء .وقد يستشهد أيضا لأهمية الترجمة في الحضارة الإسلامية قصة إسلام أحد أعظم أباطرة الصين هونغوو (1328م – ١٣٩٨م) الذي ألّف قصيدة في غاية الجمال والروعة، يرثي فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، و لم يكن يعرف اللغة العربية، ولكنه تعلم أشياء كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، عن طريق حاشيته وتراجم المسلمين حملوا رسالة الإسلام إلى الصين.[١٤]

إن التفوق الحضاري للعرب و المسلمين هو الذي أقنع العالم بأخلاقه وقيمه وعقيدته ولم يكن التفوق الحضاري عن طريق الاستبداد والمكر الذي يولد حالة من الاضطراب، و اللغة العربية أسست حضارات وليس حضارة واحدة فقط وأخرجت شعوبا من الظلمات إلى النور. إن المغلوب بالإكراه يولع بمحاكاة الغالب و ينقلب إذا تسنت له الفرصة ولكن الشعوب المسلمة من الصين إلى الأندلس قامت بتبني حروف اللغة العربية والكثير من مفرداتها ونتج عن ذلك ثورة أدبية وثقافية لم يعرف لها مثيل في تاريخها كما يشهد بذلك الأدب الفارسي والتركي و اللغات الأخرى.

ومن السنن الكونية تأثر الألسنة بالاختراعات والإبداعات القادمة من لغات أخرى ولكن هذا ليس مبررا للتخلي عن اللغة والثقافة الأم وخير دليل على ذلك تجربة اليابان وألمانيا والصين التي استعملت لغتها الأم في العلوم والتكنولوجيا وتفتخر بهويتها التي تعد عندهم عاملا للتألق والتميز والحفاظ على بيئة داخلية تشجع أبنائها على العمل و الابتكار.

زعم بعض المستشرقين أن اللغة العربية كانت فقط لغة ترجمة ونقل لأعمال الحضارات الأخرى بل كانت في حقيقة الأمر لغة نقد نظري و تطبيقي وابتكارات واختراعات لم يعرف لها مثيل في أوروبا حتى القرن التاسع عشر بما في ذلك اختراع الطائرة وتجاربها الناجحة بقيادة العباس بن فرناس في القرن التاسع الميلادي وأحمد صليبي في القرن السادس عشر و الذي كان أول طيار عبر القارات , و يقر أي منصف في مثال الطائرة بإمكانيات العقل الذي يفكر باللغة العربية اذا أتيح له الابتكار.

و ادعى المترجم و الفيلسوف الماركسي جورج طرابيشي أن الترجمة كانت فقط في عهد الخليفة المأمون و أنها وليدة نهضة المعتزلة و محصورة فيها و هذه من بين المغالطات المنتشرة حول حركة الترجمة أنها بدأت و

[١] دراسة بعض الترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة السندية ,د .عبدالقيوم بن عبدالغفور السندي، ص. ٩.

[١] قصيدة بايزيزان أو قصيدة المائة كلمة، إعتنى بترجمتها إلى الإنجليزية معهد مانيسون، لندن.

انتهت في عهد الخليفة المأمون إلا ان الحقيقة ان ترجمة كتب التي لا تعني بالفلسفة و الاديان قد بدأت في العهد الأموي مع اوائل الخلفاء الأمويين و كان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أمر بإخراج كتاب مترجم في الطب لأهرن القس لينتفع به المسلمون[١٥] و هذه الأسئلة و غيرها تدخل في نظرية الترجمة التي تتفرع منها عدة مسائل كمراجعات تاريخية لأهمية و دور الترجمة و أخلاقياتها و طرقها و مناهجها.

المبحث الرابع : تأثر اللغات الأوربية باللغة العربية

تأثرت اللغات الأوربية باللغة العربية لا سيما ما بلغها عن طريق اللغة الإسبانية و اللاتينية الاتي تأثرن بالوجود العربي الإسلامي في الأندلس طيلة ثمانية قرون وتأثرت باستمرار حتى بعد إبادة بقايا المسلمين من المورسكيين وغيرهم ، الذين اعتُبروا الطبقة المتعلمة و بفضل استغلال صنعتهم م معارفهم تم التوسع الأوربي في الأمريكيتين فأخذوا عدة عربية في مجال الملاحة و الصناعة كأدميرال أي أمير البحر وأرسونال أي دار الصناعة والباتروس أي القطرس و أسترولاب أي الاسطرلاب، وغيرها. و من شدة تأثرهم بالعربية، أطلق الأوربيون على عدة اماكن في الأمريكيتين أسماء عربية أصيلة كمكة و مدينة أو أسماء إسبانية من أصول عربية كولاية كاليفورنيا المشتقة من "كليف"[١٦] أي خليفة المسلمين سموها كذلك لأنهم وجدوا صعوبات في احتلال تلك المنطقة بسبب أن مقاومة و شجاعة سكانها الأصليين ذكرتهم بالعرب فمن ذلك جاءت تسمية كاليفورنيا نسبة إلى كليف او خليفة، وتوجد كذلك مدن كبرى يطلق عليها غرناطة وقرطبة و طليطلة..

تطورت الإسبانية عبر عدة مراحل، أولها المُزاربية وهي لغة أندلسية إسمها مشتق من لفظة المعرب و كانت تكتب بالحروف العربية، و كان يتحدث بها النصارى و تبنتها المملكة القشتالتية التي حاربت الوجود الإسلامي في الأندلس وفي نفس الوقت كانت تتحدث إحدى لغاتهم ومنها انحدرت الإسبانية عن طريق القشتالتية او المزربية، و لغة جمهورية مالطا لحد الآن أفضل نموذج حي لتأثير اللغة العربية حيث أنها أكثر اللغات حفاظا على الإرث العربي و تقول بعض الدراسات أن ٧٠ % من مفرداتها من أصول عربية.

و من أهم البحوث في هذا الباب هو قاموس الفردوس : قاموس الكلمات الإنجليزية ذوات الأصول العربية من إعداد الدكتور محمد الفلوجي عام ٢٠١٢ يحتوي على دراسة شاملة لتأثير العربية في اللغة الإنجليزية نموذجا و فيه إحصاء ٣٠٠٠ كلمة جذر من أصول عربية تتفرع منها حوالي ٢٥,٠٠٠ كلمة أخرى بالإنجليزية.

أكثر الناس لا يعرفون أن العديد من الكلمات الإنجليزية التي يستخدمونها يوميا من أصول عربية، و بالعكس كذلك فإن الكثير من الناس خاصة الشباب يتحدثون العربية و الإنجليزية بالتناوب و لا يعرفون ان الكلمة الإنجليزية مأخوذة من العربية على سبيل المثال يقول المرء : أعطيني كوب أوف كافي، يعني أسكب لي كوب من

[١٥] فجر الإسلام، أحمد أمين، ص١٨٢-١٨٣.

[١٦] المجلة العلمية لمعهد تاريخ جنوب كاليفونيا،المجلد ١٢عدد ٣،ص.٢٩-٣١، https://www.jstor.org/stable/i40052163

القهوة، و كلمتا كوب و قهوة عربيتين ، فتستخدم من قبلهم ظانين أنها إنجليزية أصيلة و لا بديل لها في العربية بينما هي في الأصل عربية.

الشعوب العربية التي كان بالأمس يضرب بها المثل على ثقافتها الراقية والعالية، ليست من أولى الشعوب في القراءة والتأليف والترجمة .جاءت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، متأخرة وقليلة جدا مقارنة بترجمات كتب النصارى كالإنجيل الذي ترجم كاملا إلى أكثر من ١٥٠٠ لغة حية بينما ترجمت معاني القرآن الكريم كاملة إلى نحو 65 لغة فقط في مقدمتها الإنجليزية والتركية والأردية وأكثرها نشر لغير الأهداف المرجوة ، فمثلاً أوائل ترجمات القرآن الكريم إلى اللغة التركية لم تعرف خلال الدولة, ولكن تمّت ترجمته لأول مرة إلى التركية المكتوبة بحروف رومانية بعد الدولة العثماني،.وكذلك أوائل الترجمات الإنجليزية المنتشرة قامت بها و إهتمت بنشرها الطائفة القاديانية.

في حقيقة الأمر لو أن كل خريج أو أستاذ ترجمة أو لغات، قام بترجمة كتاب واحد فقط في حياته لسبقت الدول العربية والإسلامية الدول الأخرى، كألمانيا وفرنسا واليابان في حركة الترجمة، فإن أعلى نسبة للترجمة في إحدى الدول العربية بلغت معدل 50 عنواناً سنوياً، في حين قد يوجد في جامعة واحدة فقط أكثر من 50 أستاذ في اللغات والترجمة .وحسب آخر تقرير لمؤشر الترجمة التاريخي التابع لليونسكو[١] تقع الدول المتقدمة الآنفة الذكر في مقدمة الدول الأكثر ترجمة في التاريخ الحديث، حيث تتعدى عدد الكتب المترجمة في كل واحدة منها أكثر من 200 ,000عنوان ، وتقع مصر في مقدمة الدول العربية وفي الرتبة 48 دوليا ب5419 عنوانا مترجما في العصر الحديث.

المبحث الخامس : الترجمة بين الماضي و الحاضر

إن اللغة العربية أم اللغات و أفضلها و هي أم العلوم و المعارف و كانت السبب الرئيس في تخليص البشرية من الظلمات الى النور من خلال كونها لغة حركة الترجمة التي بلغت ذروتها في العصر العباسي إلا ان تلك الحركة الفريدة والعالمية التي ظهرت لأول مرة في إطار الحضارة و العولمة الإسلامية كانت تحمل الطيات التي ساهمت في تحويل الثقافة العربية الأصيلة الناهلة من منابع الإسلام إلى هجين من سلبيات الثقافات الأخرى فظهرت بسبب الترجمة الغير الواعية و لأسباب أخرى اللهجات العامية و الإقليمية، كما تسببت الترجمة أيضا بورود أفكار دخيلة تسببت في صراعات فكرية و طائفية جانبية أشغلت الأمة عن مسيرتها و رسالتها ثم دخلت في نفق مظلم إلى أن عادت في القرن التاسع عشر مع النهضة العلمية في مصر متمثلة في مدرسة الترجمة لرفاعة الطهطاوي الذي ترجم الكثير من كتب الغرب إلى العربية و لكن لم يترجم أي كتاب عربي الى اللغة الفرنسية التي كان يترجم منها.

[١] مؤشر الترجمة – موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، http://www.unesco.org/xtrans/bscontrib.aspx?lg=0

و من الغرائب أن التاريخ يكرر نفسه بشهادة الجاحظ لسان حال المعتزلة في زمانه واصفا في كتاب الحيوان و في الرسائل قضية التعريب و التغريب في زمانه، و من شهادته يتبين لنا أن قضية التعريب و التغريب كانت موجودة في كل العصور بدرجات متفاوتة، يقول في الرسائل: لولا متكلمو النصارى وأطباؤهم ومنجموهم ما صار إلى أغبيائنا وظرفائنا ومجاننا وأحداثنا شيء من كتب المنانية والديصانية والمرقونية والفلانية ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها ومخلاة في أيدي ورثتها . فكل سخنة عين رأيناها في أحداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها.[١٨]

و يقول المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر: «وأمعن (الخليفة) المهدي في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه وإعلانهم اعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون مما نقله ابن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية»، ويضيف المسعودي قائلا : «وكان المهدي أول من أمر أهل البحث بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين.. فأقاموا البراهين على المعاندين وأوضحوا الحق للشاكي».[١٩]

الترجمة سيف ذو حدين ، قد تكون قاتلة للغة اذا لم يحسن استخدامها و في تاريخنا العربي القديم و الحديث أمثلة كثيرة على ذلك، إن مراجعة عميقة للتاريخ قد تعيد طرح العديد من الأسئلة ماذا لو لم تترجم كتب الإغريق و الفرس و الهنود الفلسفية و الثقافية ؟ هل حقا أثرت في اللغة العربية و في علومها ؟ ماذا لو اقتصر المسلمون آنذاك على تعريب الكتب التي تعتني بالعلوم الطبيعية و التجريبية وإستمروا على ذلك ؟

وقد تجعل هذه المواقف الكثير منا يتساءل عن موقع اللغة العربية في عالم ما بعد الحداثة، ولا سيما إذا تغيرت العولمة ومفاهيمها التي نعرفها اليوم، كالترجمة التي تعتبر ركنا من أركان العولمة، وبما أن اللغة العربية لسان الثقافة الإسلامية، فلا بد من إحيائها لخدمة رؤية جديدة للعولمة تخدم الثقافة الإسامية، ولا تقضي عليها؛ لأن اللغة دائما متصلة بثقافتها الأصلية، وهي الوسيلة التي تصارع بها من أجل البقاء وتنتقل بها من جيل إلى جيل , وإشكالية اللغات والترجمة في الثقافة الإسلامية تحتاج إلى مراجعات كثيرة بسبب خصوصيات اللغة العربية وعالمية الإسلام الذي تنتمي إليه. و لا تعدو أهمية الترجمة عن أهمية العلوم الأخرى كالطب و الهندسة و الفيزياء و يجب توظيف الترجمة في دورها الحقيقي و الفعال في إحياء اللغة العربية و ثقافتها، بدون تهميش اللغات الاخرى و بدون تقليد الأعمى.

إن المصطلح المترجم او المعرب قد يشكل وفق المعايير العلمية التي تقرها المجامع اللغوية ولكن لا يكتب له البقاء لان الذوق الاجتماعي يرفضه ، و المقصود هنا ذوق الفئة الاجتماعية من أهل الاختصاص فالمختص هو إبن اللغة و ما يعرض عليه من مصطلحات يجب ان يتماشى و ذوقه اللغوي العام الذي يتماشى مع ثقافته، و

[١] رسائل الجاحظ، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، ص٢٤٣.

[١] مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبو الحسن المسعودي- طبعة مصر- ٢٤٢/٤.

اذا رفضه بقصد او عن غير قصد، يعد مؤشرا لعدم وجود إنسجام و تناسق لغوي و ثقافي و أن اللغة الأم لا تأخذ حيزا مهما في وعيه الثقافي لأن الترجمة مهارة ضرورية في أي نشاط نظري أو تطبيقي و لذلك أفضل المترجمين من تشكل الترجمة جزء من حياته وعمله فإن الباحث الأكاديمي و الرجل الدبلوماسي و الأديب المبدع كلهم مترجمون في نفس الوقت و لعله لذلك قيل : من لا يعرف غير لغته لا يعرف لغته.

هذا، ويمكن القول بأن الأمية الحقيقية ليست أن لا تعرف القراءة والكتابة، بل هي أن لا تعرف إلا لغتك، وغالب من يتعلم اللغات الأجنبية اليوم أصبح مستهلكا لتلك اللغة وليس منتجا أو خادما للغته الأصل .وهذه من العراقيل العامة لإحياء الترجمة الإسلامية إضافة إلى عراقيل خاصة تكمن في خصوصيات ومميزات اللغة العربية والثقافة الإسلامية. تعلم اللغات اليوم منفصل عن ثقافة المتعلم وعن الترجمة، ولأن الهدف العملي من تعلم اللغات الأجنبية هو الوصول إلى الترجمة .وغالب المتحدثين للغات الأجنبية يقرون عن تجربة بأن فهمهم دائماً يبقى بلغتهم الأولى فيترجمون ذهنيا ما يقوله الآخرون من أجل فهمه، فإذا دُرست نظريات اللسانيات العربية كالخليلية بالإنجليزية سيرى الطلاب سبق اللسانيات العربية للسانيات الحديثة ، وسيؤدي ذلك إلى تغيير المنظور الذي تفهم به للغات, و إلى نهضة في الأدب و الترجمة.

و يرجح الفاسي الفهري سبب عدم رواج المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة او مكتب تنسيق التعريب إلى غياب تمثل نظري للقضية المصطلحية و إلى عفوية المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح و ذلك لاعتقاد القائمين على عملية الترجمة بأن المشكل المصطلحي مشكل مراسي بالأساس فالأكيد أن الممارسة لها دور فعال في وضع المصطلحات؛[٢] فالأخصائي الذي يمارس الوضع في حقل تخصصه محتاج إلى وعي لغوي و ثقافي صادق لتتبين له أهمية التعريب و تأثيرها على ثقافته و وطنه و نحن نعيش في عصر ما بعد الحداثة و هو عصر الثورة الصناعية الرابعة القائمة على الذكاء الاصطناعي و هو كذلك عصر الاقتصاد البيئي و الصناعات المستدامة ، مما يقتضي ترجمة نصوص و مصطلحات المواضيع الهامة و الاستشرافية التي نحتاجها في الحاضر و المستقبل, و تعود بالنفع على الوطن و المجتمع.

و يصف الدكتور محمد زرمان هذا الوضع بأن : العرب وجدوا أنفسهم في نهاية المطاف يترجمون من موقع العاجز المتخلف الذي يسعى الى معرفة ما يثير اهتمام الآخر و إن تجاوز الواقع والتحليق فوقه بترجمة ما لا يدعو الحاجة اليه يعي حتما نقله لمشاكل لا تواجهنا ، والبحث عن مشاكل لحلول الآخرين ، أو توهم مشاكل غير واقعية و هو دليل واقع عن غياب الوعي ولا يمكن للترجمة أن تكون رافدا ثقافيا مثمرا ما لم تكن قائمة على مشروع ثقافي يسعى الى تطوير جوانب المجتمع و أشكال ثقافته، فإذا تمت في ظل التبعية و في مجتمع يعيش على هامش التاريخ يترجم ما يفرض عليه. لا ما يريد هو.[٢١]

[٢] عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية،منشورات عويدات لبنان، ط.١ ،١٩٨٥ ،ص٣٩١.

[٢] الترجمة في الوطن العربي إكراهات الواقع و تصورات المستقبل، د محمد مزيان، أهمية الترجمة و شروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر ص٣٠.

المبحث السادس: إشكالات هامة في الترجمة العربية الإسلامية

أ-ضعف الوعي الثقافي:

من نتائج عدم فقه المترجمين لأهمية الترجمة و دورها في خدمة اللغة العربية و في البناء الحضاري أن أكثر الترجمات اليوم تحوم حول الأدب و الفلسفة و ليست مواضيع ترجع بالخير على الوطن العربي أو كتب استشرافية تساعد على النهضة العلمية، و من الأخطاء الشائعة التي نتجت من هذا الباب، هو ما يسميه الحداثيون و القوميون بالفصحى الحديثة و غيروا إسم العربية الفصحى إلى العربية التراثية او الكلاسيكية و أدخلوا في جوهر اللغة العربية ما لم يأتي الله به بسلطان مثل إدخال حرف الكاف في اللغة العربية في غير محله، و تحويل بنية الجملة من ذهب زيد إلى المدرسة، إلى زيد ذهب الى المدرسة و هذه الجملة تشجع على الخمول،إن لكل لغة خصائصها و اذا بدأت بالفاعل توحي من خلال هذا التوكيد على أن زيد لا يريد الذهاب إلى المدرسة و أن زيدا كسول و قد تعلم أولادنا هذا الأسلوب و انعكس على حياتهم اليومية.

تعريب الأمثال و العبر من أسوا الأخطاء التي يقع فيها المترجمون بسبب تشبعهم بثقافة اللغة الثانية أكثر من اللغة الأصل، فقد يعرف البعض من الأدب والتاريخ الأجنبي أكثر ما يعرف من آداب لغته وتراثه وحضارته، سواء المترجم منها أو غير المترجم، ويفقدهم ذلك القدرة الفطرية والمنطقية على فهم الواقع الثقافي وكيفية التعامل معه، و طريقة إيصال المعرفة للآخرين. اذا طلب من بعضهم ترجمة he love her very much، فقد ترجمها البعض إلى يحبها حبا جما قياسا على لفظة القران الكريم "و تحبون المال حبا جما"(الفجر ٢٠) فهذه سلبية توحي في ذهن المستمع والقاريء خاصة من الجيل الصاعد أنها في نفس السياق الذي ذكرت به في القرآن الكريم، نعم هذه مهارة قد يعتقد المترجم أنه تفوق بها، و لكن في نفس الوقت نقل المستمع و القارئ بعيد عن السياق القرآني و وضعه في سياق آخر لا يليق بها و أيضا من الناحية الأخلاقية قبل ان يقدم المترجم على الترجمة يجب عليه أي يعرف أي نوع من الحب هل هو حب شرعي أم لا ففي تلك الحالة عليه أن يستعمل عبارة تحمل معنى تأنيبي , وأسماء الحب في اللغة العربية قيل انها حوالي ١٢ كلمة تمثل درجات و حالات مختلفة.

و مثال آخر عن الأمثال و العبر : قل لي من تصاحب أقل لك من أنت. و الحديث الصحيح (قال النبي صلى الله عليه و سلم: الرجلُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ)[٢]فيه توجيه أخلاقي و عملي للمستمعين و يمكن اختصار الحديث حسب السياق إلى : الرجل على دين خليله ، اذا قَصدت إعطاء النصيحة تكمل: فلينظر أحدكم من يخالل، و المقصود هنا بالدين ليس العقيدة فقط و لكن السلوك و الأخلاق، و الكثير من المترجمين يترجمون المثال الاول حرفيا إلى العربية رغم وجود البديل. و يمكن إضافة أمثلة أخرى مثل : After the storm comes sunshine إنّ بَعد العسر يسرا.

[٢] أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٧).

و من مظاهر التغريب في التعابير إستخدام متحدثي اللغات الأجنبية و المترجمين حكم و أقوال من الثقافات الأجنبية دون العناء في إيجاد بديل لها في التراث العربي من الأشعار و الأمثال او دون العناء في تعريب الحكمة او المقالة في حالة عدم وجود بديل لها بما يناسب النسق الثقافي و الأدبي للثقافة الأم و بالتالي تشكيل إضافة قيمة للتراث العربي في و لكَان الأجدر بصاحبها استبدالها ببيت شعري او تعبيرات عربية معروفة في نفس السياق المناسب. مثلا .flog a dead horse (or feed a fed horse) ترجمت إلى : لا جدوى من جلد أو ضرب حصان ميت، او من إطعام حصان شبعان، و قال الشاعر أبو الشمقمق [٢]:

هيهاتَ تَضْرِبُ في حديدٍ بارد..... إنْ كنتَ تطمعُ في نوالِ سعيدِ

بـ تغريب المناهج العلمية و التعليمية:

في هذا الباب، أريد ان أنبه إلى أمر مهم و خطير ذي علاقة مع الترجمة، و هو كيف ان الفكر الغربي قام باختراع خرافات من أجل ان يقنع العالم ان اللغات الغربية هي المتفوقة دوما و هي قضية فلسفة اللغة و قضية تاريخ اللغة، يقال أن الفلسفة هي أم المعارف، و لكن يجب ان نعتبر اللغة عمومًا والعربية بشكل خاص أما للمعارف،لأنها قامت بدور حاسم في تطوير العلوم العصرية و نقلها إلى الإنسانية، و يكفي أن الأصوليين الفقهاء كانوا نحويين و لغويين في نفس الوقت و دونوا بهذه اللغة أعظم شريعة على وجه الأرض، و هذه من بين الأمور التي ينبغي أن يعيها و يمارسها المترجم و الترجمان، الحقائق التاريخية عن لغته و تفوقها على اللغات الأخرى.

أما بالنسبة لمسألة تاريخ اللغات، تقول موسوعة بريتانيكا ، أن دراسة أصل و تاريخ اللغات واحدة من أكثر الإشكالات العلمية والتاريخية صعوبة، فمنذ عام ١٨٦٦ ، تم منع دراسة موضوع أصل اللغة من قبل جمعية اللسانيات في باريس (التي تأسست في عام ١٨٦٤) والتي إنتمى إليها دي سوسور لاحقًا ، ولم يكن البحث في أصل اللغات مسموحا حتى سنوات التسعينات من أواخر القرن العشرين، ثم أعيد فتح دراسة هذا المجال و يعكس هذا القرار – في نظري - خيانة للأمانة العلمية لمنع اكتشاف تأثير اللغة العربية على اللغات العالمية و الأروبية سواء كان ذلك في العصور القديمة أو الحديثة.

كما يعرف كل دارس لغويات ، نظرية اللغات الهندية الأوروبية التي تمت صياغتها في القرن التاسع عشر كانت لدوافع إديولوجية منها إخفاء التأثير العربي في جميع اللغات ، لا سيما مساهمات لغة العرب وتأثيرها على اللغات و الثقافة الأوروبية، حتى أن مصطلح عائلة اللغات السامية ليس دقيقا لوصف هذه المجموعة لأن معظم الشعوب السامية عرب ، واللغة العربية هي اللغة الثالثة أو الرابعة الأكثر إستعمالا في العالم وهي الأقدم بين جميع اللغات السامية وغير السامية. يعني ذلك حتى إن سلمنا أن نظرية اللغات الهندية الأوروبية حقيقية في حيز زمني ما في التاريخ ، ومع إعتبار التأثير الكبير للغة و الثقافة العربية على الثقافة والحضارة الغربية ، فإن نظرية الهند

[٢] ديوان أبي الشمقمق (مروان بن محمد)، من شعراء العصر الأموي، دار الكتب العلمية، ط.١، ص٣٧.

اللغة الأوروبية ليست المصطلح او المفهوم المناسب الذي ينقل لنا الأمانة العلمية فعلى المترجم و الباحث من أول وهلة أن يستبدل إسم هذه النظرية بنظرية اللغات العربية الأوروبية لان التأثير العربي على اللغات و الثقافة الأروبية أكبر بكثير من كل اللغات القديمة مجتمعة.

في هذا الصدد، قام عالم ومؤرخ فرنسي بارز إسمه جون بول دُمول ، بتأليف كتاب بعنوان :أين ذهب الهنود الأوروبيون؟ (٢٠١٤) يواجه فيه و يشكك في نظرية الجذور الهندية للغات الأروبية. وإستنتج في دراسته أنه "لا يوجد دليل أثري وتاريخي ولغوي على أي اتصال هندي أوروبي في السهوب الأوراسية" التي وصفها بسخرية ب"الانفجار الكبير" بين الهند وأوروبا و يثبت بحثه أن أوجه التشابه اللغوي بين الثقافتين التي طالما أيدها الباحثون في الغرب أدلة مغشوشة، و سطحية ، وذات دوافع عنصرية.

ج-التقليد والترجمة بالرأي :

الترجمة دون انتقاد بناء تعتمد على محاكاة أسلوب الغير كمحاكاة المفاهيم -عن قصد أو عن غير قصد- من ترجمات من الثقافة الثانية، وذلك واضح مليا في الكثير من ترجمات معاني القرآن الكريم، كما أنه لا يُفقه بان المطلوب ترجمة معاني القرآن وليس القرآن بنفسه و الكثير من المترجمين المعروفين لا يرجعون إلى التفاسير او أهل الإختصاص من المفسرين، وتعصب بعض المترجمين لا يساهم في التوسع و الإبداع في مباحث الترجمة عامة و القرآن على الخصوص.

من بين الأخطاء التي يقع فيها الكثير من يترجم برأيه ترجمة قول جبريل عليه السلام في سورة مريم : قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ وقرأ ورش عن نافع (ليهب لك) على معنى أرسلني الله ليهب لك .[٢]لكن الكثير من المترجمين ترجموا لأهب لك بمعنى لأعطيك to give you فقرأها النصارى و قالوا هذه الآية دليل على ان عيسى إبن الله، لكن اذا إطلع المترجمون إلى تأثير الاختلاف بين القراءات في تفسير القرآن الكريم أواذا استشاروا أهل الإختصاص في التفسير، لأتضح لهم معنى الآية و لترجمت بالطريقة الصحيحة.

و من الأخطاء المتكررة كثيرا هي ترجمة البسملة المطبوعة في أكثر الكتب بترجمة حرفية تعني "بسم الله الأكرم الأرحم" أو ما يقارب ذلك ،لا تكاد توجد ترجمة تلمح على الأقل في هامشها إلى تفسير البسملة، رغم أنها تستعمل في مقدمة كل مؤلف فلعل أقرب ترجمة اليها هي: In the name of Allah the Entirely Merciful, the Especially Merciful أي مالك الرحمة الشاملة و مالك الرحمة المقيدة.

القارئ غير العربي او غير المسلم عندما يقرأ الترجمة الاولى يتوهم أن الإسلام دين كغيره من الأديان لان بعض المفاهيم مشتركة بين الشعوب كالرحمة و الكرم، أو قد يتوهم أن هذه العبارة أخذها الإسلام من الأديان أخرى. إلا أنه في حقيقة الأمر أكثر المترجمين مقصرين في توضيح معنى البسملة في التعليقات و الهوامش، و

[٢] مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، دار الصحابة للتراث، ط.١، ص٣٠٦.

إن ترجمتها الصحيحة أو بيان معناها في التعليقات قد يثير في نفس القارئ غير المسلم الرغبة و الفضول في التعلم أكثر عن الإسلام.

د-عدم الإلمام بمقاصد و ضوابط الترجمة:

لقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم اللغة العبرية، فتعلمها في سبعة عشر يوماً، والكثير من الصحابة تعلموا لغة أقوام دون التأثر بعاداتهم وعقائدهم لأنهم فقهوا مقاصد الترجمة؛ و لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن التشبه بغير المسلمين في أكثر من موضع، كما قال:"من تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ".[٢٥]

بعض المترجمين لا تتجاوز معرفتهم للعلوم الإسلامية معرفة طالب علم مبتدئ، فلذلك تلاحظ كثيراً من الأخطاء ذات آثار سلبية طويلة المدى على القارئ المسلم و غير المسلم من جهتين ، الاول إنها قد تؤكد لدى القارئ بعض الشبه، والأحكام المسبقة كما ذكر آنفافي ترجمة الأية من سورة مريم،والبعض الآخر قد يعجب بالإسلام إلا أن الفهم الناقص أو الخطأ قد يرافقه مدى حياته، ومن بعض الأمثلة على ذلك ترجمة المذاهب الفقهية إلى المدارس الفكرية، و حج إلى pilgrimage بمعنى الزيارة و الزكاة إلى: charity أو أو almsgiving المأخوذة من الإصطلاح النصراني او الصدقة و صوم رمضان إلى الصوم فقط، و ترجمة الغلو في الدين إلى التعصب، الجهاد إلى القتال و الفتح إلى الحرب و او غزو.

كذلك ترجمة لا إله إلا الله غالبا تترجم إلى : ليس هناك الله، ما عدا الله، كلمة إله تترجم دائما إلى God و هي ليست إسم علم مثل الله في العربية، و كلمة إله بالإنجليزيةdeity قليلة الإستعمال الآن و God تستخدم لله و للإله معا فلذلك المعنى المترجم هو : لا يوجد الله، ما عدى الله، ولكن المعنى الحقيقي الذي يجب الإلتزام به هو: لا معبود بحق إلا الله. There is no deity worthy of worship in truth except Allah. كان العرب يفهمون معنى الشهادة لأنها أنزلت عليهم و لكن اذا أنزلت بنفس الصيغة و بلغة أخرى على أقوام آخرين ما فهموها مثلما فهمها العرب لأنهم كلفوا بفهمها و تبليغها لغيرهم، فإن No god but Godترجمة حرفية بمعنى الكلمة تفيد فقط النفي و الإثبات فقط أما الترجمة بالمعنى تعني لا معبود بحق إلا الله،

و كذلك ترجمة الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم نجدها دائما مترجمة إلى : البركة و السلام و عليه.

المبحث السابع : التوصيات و المقترحات

بعد الانتهاء من هذه الدراسة في موضوع الترجمة و دورها في خدمة اللغة العربية بين التعريب و التغريب و التي ذكرت من خلالها أهمية الترجمة في إحياء اللغة العربية و آدابها و واقع التعريب و التغريب و تأثيراتهم على اللغة العربية، فقد توصلت إلى هذه التوصيات و المقترحات محاولة لإنقاذ اللغة العربية من التغريب و التشويه و

[٢] أخرجه أبو داود (٤٠٣١) و صححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٦٩).

التهميش، أجملها فيما يلي:

-نحن في زمن السرعة، فأصبح إلزاميا على مجامع اللغة العربية ان تعالج هذه المشاكل معالجة حاسمة في أقرب وقت، و أن لا تنتظر حتى يشيع اللفظ الأجنبي لدى العامة و الخاصة، ثم تقوم بعد مدة طويلة بتعريب الكلمة الأعجمية، وذلك بعد شيوع اللفظة الأعجمية مثل (الراديو) على ألسنة الناس، فلا بد من تعريب الكلمات الأجنبية بأسرع وقت ممكن حتى لا يغلب الاستعمال الأجنبي.

-على المجامع اللغوية و المعاهد و الجامعات إحداث لجان مكونة من خبراء و أخصائيين في مختلف المجالات ذات الصلة لتدوير و تأصيل المصطلحات في تخصصاتهم و جمعها في معاجم و موسوعات تعتني بتحقيق و تعريب و توحيد المصطلحات، و من ثمة ارسال جميع الإصدارات إلى الجهات الرسمية و الأكاديمية.

-إصدار الجهاة ذات الصلة ميثاق أخلاقيات و واجبات المترجم تجاه اللغة العربية الأم، و تعميم الميثاق لتدارسه و العمل به بين الأفراد و في المؤسسات، و إصدار و تقنين وثيقة شروط و ضوابط التعريب في شتى المجالات.

-إحداث لجنة الوعي اللغوي في الجهات الحكومية و سن قوانين من قبل الوزارات المعنية تضع ضوابط في الترجمة و التعريب و تعاقب كل من يخالفها، و القيام بتشجيع ترجمة الهادفة عن طريق تنظيم مسابقات و تنفيذ مشاريع تهدف إلى ترجمة و تعريب الكتب المهمة من العلوم المحمودة مع طرح تحفيزات و جوائز مغرية مقابل الإنجازات المتميزة في هذا المجال.

-عقد مؤتمرات و ندوات و ورشات عمل حول الترجمة و التعريب و التي تختتم بنتائج عملية كالمبادرة في ترجمة بعض الكتب العلمية المفيدة من اللغة العربية إلى اللغات العالمية والعمل على إحياء التراث الإسلامي بترجمته إلى مختلف اللغات و ترجمة الكتب المحمودة من اللغات الأخرى التي تعتني بإزدهار و رقي الدول.

-في جامعات الدول المتقدمة لا يدرسون لغات القوم بنفس الطريقة التي تدرس عندنا، وكذلك عند دراستهم للغات و الثقافات الأجنبية ، الكثير من المواد و حتى مذكرة البحث يجب أن تكون بلغتهم الرسمية يعني من يدرس دراسات ثقافية للشرق الأوسط او من يدرس لغة عربية فإن مذكرة البحث تكون باللغة الإنجليزية فلماذا لا نقوم بنفس الإجراء عندنا، لماذا لا تدرس عندنا نظريات اللسانيات العربية كالخليلية بالإنجليزية ليرى الطالب سبق اللسانيات العربية للسانيات الحديثة، وسيؤدي ذلك إلى تغيير المنظور الذي تفهم به للغات..

- مراجعة طرق و مناهج تدريس اللغات الأجنبية في كل المستويات بما يتناسب و الثقافة العربية الإسلامية مع ضرورة دمج تخصص اللغات الأجنبية مع الترجمة او على الأقل تضمين مادة اللغة والحضارة العربية و الترجمة و الدراسات اللغوية المقارنة في كل التخصصات و المستويات، و سن كشرط التخرج من الجامعات لطلبة اللغات و الترجمة ترجمة كتاب من أجل الحصول على الشهادة النهائية، و إشتراط إتقان لغة ثانية للطلبة المتخرجين من كليات الدعوة.

و أختم بنصيحة المترجم والمفكر ليوبولد فايس محمد أسد رحمه الله في كتابه الإسلام على مفترق الطرق حيث قال من قرابة قرن:

"إن الطريقة التي تجري عليها معاملة الأدب الأوروبي وتدريسه في البلاد الإسلامية تدور – ونقول ذلك بصراحة- مع الهوى، إن الإغراق الذي لا حد له في قدر قيمته يحمل العقول الناشئة الغضة بطبيعة الحال عن أن تتشرب روح المدنية الغربية بثقة عمياء واندفاع كبير قبل أن يتاح لهم معرفة النواحي السلبية فيها معرفة كافية...إن الدور الذي يقوم به الأدب الأوروبي في المدارس الإسلامية يجب أن نتبدل به تدريسا عاقلا بصيرا للأدب الإسلامي يتأثر منه الطلاب بسعة الثقافة الإسلامية وغناها، وهكذا يشيع في نفسه أمل من جديد بحسن مستقبلها ".[٢٦]

هذا ما توصلت إليه الدراسة، و صلى الله على نبينا محمد و على أهله و صحبه و سلم.

أهم المصادر و المراجع :

-معجم لسان العرب لإبن منظور الأنصاري الإفريقي، دار إبن الجوزي، ط.٢٠١٥.

-أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي، د. محمد أحمد واصل، دار طيبة، ط.١، ١٤٣٣-٢٠١٢.

-تغريب الألقاب العلمية، الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، المجموعة الكاملة، دار العاصمة للنشر و التوزيع، ط.١ ، ١٤١٦-١٩٩٦.

-قراءات معاصرة لتراث الترجمة في العصر العباسي، د. عدنان خالد عبد الله، جامعة الشارقة، ط.١ ، ٢٠١٨.

-أهمية الترجمة و شروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر العاصمة، ٢٠٠٤.

-المصطلح و المفهوم و المعجم المختص دراسة تحليلية في المعاجم الأدبية العربية الحديثة (١٩٧٤-١٩٩٦)، محمد خطابي، كنوز المعرفة،عمان الأردن، ط.١، ١٤٣٧-٢٠١٦.

-الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فاروخ، دار العلم للملايين.

-أين ذهب الهنود الأروبيون ؟ جون بول دومول. Mais John-Paul Demoule, Edition du Seuil, 2014 où sont passés les Indo-Européens ?

-موسوعة بريتانيكا و موسوعة ويكيبيديا الحرة.

[٢] الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد ، صفحة ٦٩-٧٩، دار العلم للملايين.